اسرار العين

وردتنا المقالة الآتية من حضرة اللوذعيّ الاديب اسكندر افندي مشاقة من موظفي قلم قضايا الداخلية فاثبتناها بنصّها الشائق قال

قرأت في احدى الجرائد الفرنسوية مقالةً ذكّرتني ما قرأتهُ عن اسرار العين في الجزء الرابع والعشرين من السنة الاولى من ضيآئكم الزاهر غير اني وجدت فيها من طرائف البحث ما لا يقلّ غرابةً واشكالاً عن الحوادث الطبيعية التي ذكرتموها هناك فاحببت اعرّبها واطرف بها قرآء مجلتكم الغرآء وفي يقيني انها مع ما فيها من الفكاهة لا تخلو من الفائدة بتنبيه الافكار الى مثل هذه المباحث والوقوف على ما يمكن كشفهُ من غوامض اسرارها وانا ارجو من حضرات اطبآئنا وعلمآئنا ان يعيروها جانب الاصغآء ثم ان يجودوا علينا بما يبدو لهم من تعليلها خدمةً للعلم وافادةً للجمهور

وقبل ان اشرع في سرد التعريب تأذنون لي ان استمدّ من فضل علمكم وضع كلمةٍ تعذّر عليَّ وجودها في لغتنا وهي اللفظة التي نعبر بها عن الآلة المعروفة « بالكليوتين » التي يستخدمها الافرنج لقطع العنق فان هذه الآلة لم تكن معروفةً عند العرب بل لم توجد الا منذ عهدٍ قريب اي منذ اوائل القرن السادس عشر ولم تستعملها الحكومات الا منذ اواخر القرن الماضي فبالطبع لم يكن لها اسمٌ عندهم وقد تركت موضعها خالياً لتضعوا لها اللفظة التي تجدونها موافقة . وهذا تعريب المقالة اسوقهُ بالاختصار اللائق

اجتمع بعض اطبآء باريز ذات يومٍ في منزل طبيبٍ منهم دعاهم

لتناول الطعام عندهُ وكان عدد المدعوين نحو الثلاثين من نخبة اطبآء تلك العاصمة وبعد ان فرغوا من الطعام وجلسوا للحديث اخذوا يتجاذبون اطراف البحث فيما يتعلق بشؤون صناعتهم فافضى بهم السياق الى ذكر ما يعرض احياناً من غرائب الحوادث التي تخفى اسبابها وتشكل وجوه تشخيصها وفي جملة ذلك تعليل ما يبقى احياناً في عيني الشخص بعد وفاتهِ من صورة انسانٍ او شبحٍ آخر وقع تحت بصرهِ حين الوفاة

فاخذ كلٌّ من هؤلآء الاطبآء يذكر ما اتفق لهُ العثور عليهِ من مثل ذلك بالمعاينة او بالمطالعة فروى المسيو مونجلان جملة حوادث من هذا القبيل كان بعضها وسيلة للقضاة استدلوا بها على معرفة القاتل من مرأى صورتهِ في عيني المقتول وشرح من علة بقآء هذه الصورة في العين ان القاتل حين انقضاضهِ على المقتول يكون في هيئةٍ مخيفة اشبه بهيئة الوحش الضاري فيؤثر منظرهُ في نفس المقتول اثراً ينطبع في حدقتيهِ انطباعاً راسخاً يبقى الى ما بعد الموت . وتكلم المسيو بروسان فأيد مقالة سابقهِ واستشهد عليها بانهُ كثيراً ما رؤي في عيني من قُطع رأسهُ بالمقصلة [1] صورة هذه الآلة المخيفة ظاهرةً في انسان العين . وتلاهُ المسيو كوباليه فذكر انهُ نظر مرةً في عيني ميتٍ من اصحاب الثروة كان على جانبٍ عظيم من البخل فرأى فيهما

(١) هي الكلمة التي اخترناها للآلة المذكورة اي الكليوتين من قولهم قصلهُ اذا قطعهُ قطعاً وحياً اي سريعاً وربما خص بقطع العنق كما ذكرهُ في لسان العرب عن اللحياني وهو الذي نص عليه الثعالبي في فقه اللغة . ومن غريب ما يذكر هنا ان هذه الآلة اول ما اطلق عليها لفظ « منايا » وهي كلمة طليانية لانها اول ما اخترعت في ايطاليا ولولا الالتباس لكان هذا اللفظ اليق ما تسمى بهِ

صورة صُبرةٍ من النقود كانت بين يديهِ حين الوفاة ورأى في عيني راهب بعد موتهِ صورة صليبٍ كان يقبّلهُ وينظر اليهِ حال مفارقة الروح للجسد

وعند ذلك تكلم المسيو ڤارنال الشهير فقال ان كل ما ذكرهُ رصفآؤنا في هذا الصدد هو من الامور التي لا يبعد تعليلها لحضور العامل المحسوس المؤثر اشدّ التأثير على آخر نظرةٍ من الميت مع وجودهِ اذ ذاك على غير الحالة الطبيعية اعني حالة الفزع الشديد او البغض المفرط او الحب المتناهي فلا غرو ان تنطبع في عينيهِ الصورة التي تكون حاملةً لاحد هذه المعاني وتبقى الى ما بعد الممات . ولكني سأقصّ عليكم ما هو اغرب من هذه الحوادث كلها وابعد تعليلاً وهو من الحوادث التي شاهدتها عياناً والتي يثبت منها ان مثل ذلك قد يتم بدون حضور المؤثر المحسوس فاني نظرت في حدقتي شخصٍ قد فُصل رأسهُ عن جسمهِ بالمقصلة فرأيت فيهما صورة انسانٍ لم يكن امام عينيهِ حين القتل . ثم اخذ يقص عليهم خبر ذلك الشخص فروى قصةً طويلة الخصها هنا بقدر الامكان قال

دُعيت في شهر ستمبر من سنة ـ ١٨٩ من قبَل القضآء لافحص حالة رجل يدعى ادوار أُتهم بجنايةٍ فظيعة وهي قتل امرأةٍ كهلة من بيتٍ شريف كانت مقيمةً وحدها في منزلها تعيش من ريع املاكها . وذلك انهُ بعد حدوث القتل بمدةٍ وقع تحت ايدي رجال الضبط قطعة من حلى المرأة المقتولة كانت في يد فتاةٍ تسمى ادما لاري وكانت ادما هذه مساكنةً لادوار المذكور منذ سنتين فوقعت شبهة القتل عليهِ وقُبِض عليهِ مع ادما فأقرّ ادوار بفعلتهِ دون تردُّد ونفى مشاركة ادما لهُ في الجرم . فلما سمع القاضي

منهُ هذا الاقرار ظنّ ان بهِ اختلالاً في العقل ودعاني لفحصهِ فتوجهت اليهِ ودخلت محبسهُ واذا هو فتًى في نحو الثانية والعشرين من عمرهِ ذو منظرٍ يدل على الرزانة والفطنة عصبيّ المزاج صحيح الجسم قويّ البنية لا يظهر عليهِ ادنى علامة تدلّ على الجنون وكانت عيناهُ زرقاوين لا شيء فيهما من الحدّة التي تدل على اختلال العقل سوى اني وجدتهُ مضطرب الافكار. وبعد ان فحصت حالتهُ وهو لا يمانعني في شيءٍ ويجيبني بكل دعةٍ وتعقل اخذ يقنعني بانهُ على تمام العقل وصحة الادراك ولا يريد ان تتخذ تهمة الجنون ذريعةً لنجاتهِ من العقاب وانهُ عند ارتكاب الجريمة لم يكن على شيءٍ من التهيج العصبي ولكنهُ قتل وسرق وهو على بصيرةٍ تامة وانما فعل ذلك لامرٍ دفعهُ الى اجترام هذا الاثم الفظيع وهو شغفهُ بحب فتاةٍ يقال لها ادما لاري وخوفهُ ان تفوتهُ اذا لم يعجل في كسب ما يمكّنهُ من احتيازها. ثم اخذ يبرهن لي على نفي الجنون عن نفسهِ بكل ما استطاع ويقنعني بان الفتاة لا علم لها بشيءٍ مما صنع واخذ يصف من شدة تعلقهِ بادما وكلفهِ بحبها ما لا وصف فوقهُ

وقد رأيت ادما بعد ذلك فكانت شابّةً تبلغ الثامنة عشرة من العمر جميلة الطلعة بيضآء اللون ذهبية الشعر تدل ملامحها على سلامة القلب ولين العريكة وحالما ابصرتها تذكرت محبها وعذرتهُ فيما رأيت من تفانيهِ في حبها

ولما كان اليوم المعين للنظر في الدعوى اقرّ ادوار امام القضاة بكل ما فعل بالتفصيل دون ان يذكر السبب الذي دفعهُ الى هذا الفعل ولما لم يبقَ وجهٌ لتبرئتهِ ولا لمعذرتهِ فيما صنع صدر الحكم قاضياً عليهِ بالقتل

قال وجعلت اتردد عليهِ مدة الشهر الذي كان بين صدور الحكم وموعد

تنفيذهِ واجتهد في تعزيته فكان لا يحدثني الا بحديث محبوبتهِ ادما وذكر ايامهِ معها واسفهِ لفراقها . ولما أزف يوم الموعد رغب اليَّ اشدّ الرغبة ان افحص دماغهُ بعد موتهِ لاتيقن انهُ لم يأت ما اتى عن اختلال في العقل . ولما قِيد الى المقصلة رأيتهُ يمشي وعيناهُ الى السمآء كانهُ يناجي شخصاً غائباً قد تمثلهُ في خاطرهِ وهو غير منتبهٍ الى ما حولهُ حتى اذا بلغ المقصلة القى بجسمهِ عليها وللحال سقط السلاح فانفجر الدم من بين كتفيهِ وسقط رأسهُ في الاناء المعدّ لذلك . وبعد ساعتين جآءوني بالرأس فلما اخذتهُ لافحصهُ ووقع نظري على ذلك الوجه الفاقد الاحساس شعرت بجمود دمي في عروقي لاني نظرت في بؤبؤ عينيهِ الجامدتين وكانتا مفتوحتين فرأيت صورةً ظاهرة جلية فتأملتها واذا هي صورة ادما بعينهـا لا ينقص شيءٌ من محاسن وجهها ولون عينيها وشعرها وان هذه المعجزة التي احسبها من معجزات الحب اثرت فيَّ تأثيراً شديداً حتى لم املك عبرتي من الانهمال . فاطبقتُ عينَي ذلك الرأس اللتين اختارتا الموت واستصحبتا رسم من احبّتا النظر اليهِ حتى لا تفقداهُ بعد الموت وانا مذ ذاك لا يمرّ بي يومٌ الا اتصور ذلك الرأس وعينـاهُ متضمنتان تلك الصورة . انتهى

تدبير المنزل

(تابع لما في الجزء السابق)

ان الناظر في ذلك ينبغي ان ينظر في ثلاثة اشيآء اكتساب المـال ثم حفظهِ ثم انفاقهِ . فأما اكتسابهُ فينبغي ان تُحذَر فيهِ ثلاثة اشيآء الجور